www.dorat-ghawas.com

محتويات العدد

■ الموردة

نصرنا .. انتصار أمة الجهاد ..... د . محمد البكاء ٣

■ بحوث ودراسات

* المدارس النحوية بين ايدي الدارسين ..... أ . د . نعمة رحيم العزاوي ٤ ـ ٢١
* حتى في كتب النحو ..... أ . د . علي محسن مال الله ٢٢ ـ ٣٢
* سورة الدهر ـ قراءة تاملية ..... أ . د . بشرى البستاني ٣٣ ـ ٤٣
* الاصمعيات ـ دراسة في اسس الاختيار ..... أ . د . محمود الجادر ٤٤ ـ ٥٤
* موازنة بين ذئبيتي الفرزدق والبحتري ..... أ . د . يونس السامرائي ٥٥ ـ ٦٢
* المتنبي في معيار الحاتمي النقدي ..... رعد عبد اللطيف صالح ٦٣ ـ ٦٨
* امتداد التراث النقدي العربي في المعاصرة ..... أ . د . عبد الكريم راضي جعفر ٦٩ ـ ٨١

■ نصوص محققة

* اوراق من عيون التواريخ لابن شاكر ٦٨٦ هـ ـ ٧٦٤ هـ
تحقيق : عبد العزيز ابراهيم ..... ٨٢ ـ ٩٧
* شعر ملوك الاندلس وامرائها في القرن الخامس الهجري
صنعة د . انقاذ عطا الله ..... ٩٨ ـ ١٢٥

* اصدارات المجمع العراقي ..... ١٢٦ ـ ١٢٧
* الجديد في المكتبة (الطريق الى القدس) عرض : محمد رجب السامرائي ١٢٧ ـ ١٢٨
* مطبوعات وردت الى المجلة ١٢٨

العدد الثالث

www.dorat-ghawas.com

المتنبي

في معيار الحاتمي النقدي

رعد عبد اللطيف صالح
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

● المقدمة

لعل من نوافل القول التي الفها المتقدمون ودرج عليها المتاخرون ، أن ننوه بان أبا الطيب [illegible] حظي بما لم يحظ به شاعر قبله ولا بعده عن الدراسة والنقد والشهرة والتقديم ، واذا كان الأقدمون [illegible] بانه مالىء الدنيا وشاغل الناس فلا مناص اذن من ان يثير هذا الشاعر المتفرد عواصف شتى [illegible] ومكامن العبقرية فيها ، دون مرور عابر على هناتها ونقاط ضعفها لدى المتالين اليها ـ المعجبين بها تركتك موهبتها الفذة من بصمات على فاكهة اللغة ، وتلك طبيعة راسخة في النفس البشرية اذ ان (عين الرضا عن كل عيب كليلة) .

وفي الحين الذي تتبدى فيه العبقريات جانب الحب والنود ولدى الناس فان ثلة منهم تقفها [illegible] مغايراً ، تبعاً لعوامل نفسية واجتماعية وعقائدية وتحاسدية ، وما سوى ذلك من الاسباب والعوامل [illegible] هذه الثلة جنفها وحسدها ذاك لباس العلم والنقد والمنطق ، وقد تدعي الموضوعية ايضاً .

وقد كانت عبقرية المتنبي الابداعية موضع أخذ ورد لدى مجامليه بحكم هذه العوامل [illegible] الذين اهمل وجود المتنبي ذكرهم ، وساندهم في ذلك الحكام الذين ترفع المتنبي عن مدحهم ، ونتيجة عن نظائر [illegible] الفئتين لفظ ، أخذ صفة الشعر احياناً ، كما صنفه ابن الحجاج حين هجا المتنبي هجاء مقذعاً .

أي فضـــــل لشـــــاعـــــر يطلب الـ
فضـــــل في النـــــاس بكـــــرة وعشيـــ
عـــــاش حينـــــاً يبيـــــع في الكـــــوفـــــة المـــــا
ء وحينـــــاً يبيـــــع مـــــاء المحيـــ

وصفه النقد احياناً أخرى كما فعل الحاتمي حين صنف رسالته « الحاتمية والموضحة » [illegible] تاليف الرسالتين الذي سنعرض له لاحقاً من الوقوف عند كثير من الاراء التي وردت في المتنبي [illegible] يكون الامر التافه باعثاً لعمل ابداعي عظيم ، ويظل المتن المعرفي وهوامشه المبينة وسيلة التخاطب بين [illegible] بحرفة الادب والمعرفة ـ بوجه عام ـ والقادمين اليها من تخوم المستقبل .

والله اسال ان يوفق الجميع ، انه حسبنا ونعم الوكيل .

www.dorat-ghawas.com

... المتنبي والحاتمي

... أن أبا الطيب هو أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي ، ... الكوفة في محلة كندة في مطلع القرن الرابع الهجري[1] . ... محلة نصف قرن التي عاشها المتنبي متبعضة بين العراق ... وبادية الشام ومصر ، وكانت أشهرها رحلته مع سيف الدولة الحمداني (علي بن حمدان) في حلب ، ومدحه بقصائد مشتهرة ، ثم انفصلت بينهما جفوة انتقل على اثرها الى مصر .

... صاحبه الصدف ومحاسنها ان يلتقي الحاتمي بالمتنبي الذي قصد سيف الدولة في شبابه ، وقد ذكر ذلك ياقوت في ... [2] نقلاً عن كتاب الهلباجة للحاتمي « وقد خدمت سيف الدولة ... وأنا ابن تسع عشرة سنة » وينص على انه التقى أبا ... الكوفي هناك اي سنة ٣٤١ هـ وهي سنة مقدم الفارسي على ... ، وهي أيضاً من سني إقامة المتنبي لدى سيف الدولة (٣٣٧ ـ ٣٤٩ هـ) . ويلاحظ من نص الحاتمي واشارته ذات الدلالة الواضحة « وقد خدمت سيف الدولة تجاوز الله عن ... » انه لم يأل الاخاية التي يأمل لديه فترك مجاورته قاصداً ...

... كان الناقدون قد جعلوا للحاتمي صفات معرفية مهمة من ... الكاتب بأطلاعه ومعرفته ، فان مناطحته لصخرة ابي ... سيبدو في الاثر الاكثر اشتهاراً عنده ، ويبدو أن وجود المتنبي الذي كان سبباً رئيساً لاهمال ذكره في بلاط سيف الدول صار سبباً ... الباحثين اليه في الازمنة اللاحقة .

ومن الجدير بالاشارة اليه ان الحاتمي هو ابو علي محمد بن الحسن ، المتوفى عام ٣٨٨ هـ[3] ، وهو رجل غزير العلم واسع المعرفة بأثر الاطلاع ، وهو ناقد وكاتب مبرز وله أشعار تروى ايضاً . وصنف الحاتمي كتباً في اللغة والأدب والتراجم .

... لماذا ... ؟

لعل (لماذا) الفلاسفة هذه ضرورية لمعرفة دوافع الحاتمي في موقفه من المتنبي ، وهو دون ريب موقف ناقم لا موقف محب ، ومناصبة الاجتهادات في الامر ان عوامل ذاتية (الحسد والغيرة) ... المتنبي وخيلاؤه وامتناعه عن مدح المهلبي وزير معز الدولة البويهي ، بل نزوعه عن مدح معز الدولة نفسه قد جعل الاخيرين يغريان الادباء والشعراء بهجوه والنيل منه وبينهم كان صاحبنا الحاتمي الذي اجتمعت عليه ولديه اسباب التحامل اكثر من سواه خصوصاً اذا علمنا بالتقائهما لدى سيف الدولة والمتنبي في قمة الهرم في الحظوة والحاتمي يفترش حصباء الاهمال والنسيان كما اشرنا سابقاً ، فضلاً عما يورثه التعرض للمشاهير والاعلام المبرزين والفحول من شهرة يريدها العامة والخاصة .

ومهما يكن الامر فان تحامل الحاتمي على ابي الطيب المتنبي قد ابتعد كثيراً عن موضوعية الناقد والباحث والاديب الى تهجمات الخصم المبطنة برداء الاشارة الادبية ، ولعل أجلى صورة لبغضائه تلك نجدها في نهاية رسالته الموضحة[4] ، اذ يزعم ان سبب رحيل المتنبي عن بغداد بعد ما وصل اليها انه هرب من احد سفهائها (ابن الحجاج) فضلاً عن عجزه عن الرد على رسالة الحاتمي كما يزعم هو ... واولع بهجائه سفيه من سفهائها البغداديين ، صغير من أصاغر علمائهم يعرف بابن الحجاج ، لاحظ له في الفضل ولا قدم له في الادب ، وحسبه انه اضطره مع دناءة قيمته وسخف همته الى الهرب ، وترامي المطلب ، وقلق الركاب في كل مذهب ، وقد كنت افتتنه بعنان الصفار قود الجنيب فلم يستطع مقاماً بمدينة السلام ، فخرج عنها الى الكوفة ومنها الى فارس »[5] . وهنا لابد من السؤال عن مقدار اقتراب هذه الكلام من منطق الاديب المنزه عن حمى التباغض وحسبنا تقصياً عن اسباب موقف الحاتمي بوقوفنا على اعترافه بنهاية الموضحة بانه بعد ان كتب هذه الرسالة « بدا لتتبعته من عواره ، ووقفت عليه من سرقة ، ومن سقط لفظه ، وسخيف معانيه »[6] سيشفعها برسالة تتحدث عن « محاسن شعره ، ومن عيون مدائحه ... وافرد بذلك كتاباً واستقصيه ... الخ »[7] .

فكتب بعد ذلك رسالته الحاتمية التي رد فيها مائة معنى من معاني ابي الطيب الى ارسطو طاليس بأسلوب يبدو للوهلة الاولى مناصراً لابي الطيب ، وحسب ابي الطيب من هذه المناصرة انها زعمت سرقة معانيه من اليونان وليس من العرب وحدهم .

واخيراً فان الاعتراف سيد الدولة كما يقول فقهاء الشريعة والقانون ، وهذا الحاتمي يورد في ثنايا تملقه للوزير ابي محمد المهلبي في بداية الرسالة الموضحة[8] ما نصه « وكانت للوزير ابي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، رحمه الله ، هناك طليعة من طلائعه ، وربيئه من ربايا مرعاته ، وعين من عيونه فانه كان ـ نضر الله وجهه ـ لما تثاقل ابو الطيب عن خدمته ، واساء التوصل الى استنزاله عن عرفه ، ولم يوفق لاستمطار كفه ، وكانت واكفة البذان ، منهلة باللجين والعقيان ، سامني هتك حريمه ، وتمزيق

www.dorat-ghawas.com

أديمه ، ووكلني بتتبع عواره ، وتصفح أشعاره ، وإحواجه الى مفارقة العراق ، واضطراره كراهية لمقامه بعد تناهيه في إدنائه وإكرامه .... » .

ومن هذا النص تتضح لنا صورة الحال جلية نفعية تكسبية ، بعيدة البعد كله عن العلم والموضوعية . فالرجل قد أمر فنفذ ، واجتهد في ذلك التنفيذ الذي جاء مطابقاً لرغبة في نفسه ، متفقاً مع هواه .

● خلاصة رأي الحاتمي ....

أسلفنا أن آراء الحاتمي في المتنبي قد ضمتها رسالتاه « الحاتمية والموضحة » وخلاصة الأمر فيهما تتمثل في اعادة معاني المتنبي الى مرجعية سابقة سواء كانت تلك المرجعية شعرية عربية كما في الموضحة أو نثرية ارسطية كما في الحاتمية . ولابد لنا ونحن بصدد ارائه في الرسالتين ان نتناولهما بالبحث والمساءلة لنصل الى رؤية مقاربة لموضوعية البحث المفترضة .

● اولاً ــ الرسالة الموضحة[٩]

تعد الحاتمية أو جبهة الادب[١٠] رسالة مجالس مذمومة بين الحاتمي والمتنبي بحضور اشخاص يسمون في كل جلسة ، وفيها يشير الكاتب الى ما يعد سطواً من المتنبي على معاني سابقيه ، إضافة الى هنات شعرية يعدها عليه ، وهكذا يرتب أربعة مجالس متوزعة بين بيت المتنبي ومجلس الوزير المهلبي ، واجدني ميالاً للرأي القائل بعدم حدوث هذه المجالس باستثناء الاول وبصيغة غير تلك التي اوردها الحاتمي الذي أعاد النظر كثيراً بالرسالة ومجالسها ، ربما وصفه من كلام على لسانه وعلى لسان المتنبي والسنة الحاضرين والذي يدعم هذا الرأي أن الرسالة قد قدمت الى الوزير ابي الفرج الشيرازي بعد وفاة المتنبي بسنوات ثم ان ما يرد فيها لا يتناسب مع ما عُرف به المتنبي من غرور وخيلاء فكيف يسمح لشاب لم يتجاوز الثلاثين ، بان يسأله ويمتحنه ويرتل شعره .... ؟ وهو القائل[١١] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعراً اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمّراً
وغنّى به من لا يغني مُغرّدا

وكذلك :[١٢]

خليليّ إني لا أرى غير شاعرٍ
فَلِمْ منهم الدعوى ومني القصائدُ

ولعل الرسالة ومجالسها من وجهة نظر المؤرخ تحتاج الى تمحيص دقيق ولكن اهميتها من الناحية النقدية لا تتأثر كثيراً ، ويمكن لنا النظر مطمئنين الى المتن الذي بين ايدينا على انه جهد نقدي قيم ، تنبغي دراسته ووضعه في مكانه الذي يستحق في تبت النقد العربي القديم .

والمنزل الاول الذي جرت فيه المناظرة الاولى كان منزل المتنبي بحضور بعض الغلمان الذين يدرسون الادب على المتنبي ، ثم تجري معاتبة بين المتنبي والحاتمي ، يسأل في بدايتها الحاتمي عن سبب تكبر المتنبي وتعاليه عليه ، ويرد المتنبي بانه لم يتعمد ذلك ، ويأخذ في تهدئته ثم تبدأ المناظرة بشرح لبيت عدي بن زيد ، ثم يأخذ الحاتمي في إعادة أبيات قصيدة قافيه للمتنبي الى من سبقه الى معاني ابياتها ، حقاً هيناً وتكلفاً احياناً . ثم يسأل الحاتمي عن قول المتنبي :[١٣]

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ
ففي الناس بوقات لها وطبول

ويعترف المتنبي بان هذا من هجين المدح لامن صريحه ، وانها عثرة من عثرات الخاطر وينهض منها ابيات اخرى له يذكرها هو فيعيدها الحاتمي الى من سبق في معانيها .

ومن حسنات هذا المجلس (الاول) انه يرد فيه حدّ الشعر (تعريفه) ويقوم على أربعة أسس في نظر الحاتمي هي اللفظ والمعنى والوزن والتقفية[١٤] ثم يستطرد في شرح هذه الاسس وايراد الامثلة عليها ، ولا يكاد يخلو بيت ينكر من تعليق للحاتمي عليه حتى لو كان ذلك بعيداً عن موضع الشاهد فيه ، كقوله عن بيت حميد بن ثور :

فقـــام وسنـان ولمّـا يـرقـد
الى صناع الرجل فرقـاء اليد

وهذان البيتان (هو وبيت سابق له) من أوجز ما قالته العرب[١٥] .

وتعود الرسالة الى (مثالب) شعر ابي الطيب وقد يأخذ فيها الحاتمي دور المعلم في حين يأخذ المتنبي دور التلميذ ، فالأخير يسأل جهلاً والاول يجيب علماً .

اما المناظرة الثانية (المجلس الثاني) فكانت كما يزعم الحاتمي في مجلس الوزير المهلبي باستعراض ثقافته من خلال الاشارة الى اصول معاني المتنبي وفيه يصف الحاتمي ابا تمام والبحتري بانهما مرجع اساسي للمتنبي « اختلبت الفاظهما ، واستلحفت معانيهما ، ووقعت دونهما وقوع السهم المقصر عن

www.dorat-ghawas.com

رميته »[١٦] بعد أن يزعم ان المتنبي قد انكر معرفته بهما .

وفي آخر المجلس يرد المتنبي بعض ابيات ابي نواس الى مشابهاتها مما سبق الشعراء اليه ، ويقول له المهلبي في النهاية « حسبك ففي بعض ما تفاوضتماه غنى عن غيره » ومكانك يا أبا الطيب غير مجهول »[١٧] .

وفي المناظرة الثالثة (المجلس الثالث) يحضر فيها أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وابو الفتح المراغي وابو الحسن الانصاري وغيرهم — كما يذكر الحاتمي — وتستأنف المناظرة في شعر أبي الطيب وفيها يقول الحاتمي مخاطباً أبا الطيب « ما اعرف لك احساناً ، ولا اعترف لك باختراع ، إذا كانت هذه الابيات التي تتخيل انك السابق الى معانيها ، ورب الاحسان فيها ، مسترقة ملصقة فيما تقدم من نظمها وابتكره اصحابها من معانيها ، شاغل عن تكرير لها ، وتبديل لألفاظها »[١٨] . وهنا لابد من وقفة امام قوله (الابيات التي تتخيل انك السابق الى معانيها) فهذا اعتراف من الحاتمي بان المتنبي لم ينظم أبياته على أشلاء أبيات سابقيه بل كان يبتدع ابياتاً يظن انه السابق الى معانيها فيتضح انه قد سبق الى بعض منها وهذا يخرج من باب السرقة الى باب توارد الخواطر ووقوع الحافر على الحافر .

وفي آخر المجلس يقول ابو الطيب « إنما ناتيكم الفيئة بعد الفيئة ، فاذا أتيناكم فاحسنوا القرى » وينهض مغضباً فيرده — المهلبي مكرها ، ثم يطلب المهلبي من الحاتمي مفاوضة المتنبي في شعر أبي تمام والبحتري ويجري ذلك في المجلس الرابع الذي جرى بعد أسبوع من المجلس الثالث وفيه يرد الحاتمي بيت ابي الطيب :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني

والحرب والطعن والقرطاس والقلم[١٩]

الى قول البحتري :

يا خليلي بالسواجير من أدْ

بن معنٍ وبحتر بن عتود

اطلب ثالثاً سواي فإني

رابعه العيس والدجى والبيد

وقول ابي تمام :

العيس والهم والليل التمام معاً

ثلاثة أبداً يقرنَّ في قرنِ[٢٠]

وواضح لدينا ما لبيت ابي الطيب من فضل على ابيات سابقيه ، وكونه قد جمع فاوعى وجاء بشطرين بما لم يسبق اليه سواه بابيات عديدة .

وتستمر المناظرة في شعر ابي الطيب مقارناً بشعري ابي تمام والبحتري ، ومن الطريف ان الحاتمي يزعم فيها ان ابا الطيب قد اعاد بعض ابيات ابي تمام والبحتري الى ابيات سبقتهما ويرد عليه هو بقوله « ما ابعد مابين المعنيين »[٢١] أو بقوله « هذا أيضاً تحامل ما يتناسب المعنيان »[٢٢] ونلاحظ هنا ان تكلفه هو في اعادة ابيات المتنبي الى اي سابق ولو بقشابه طفيف جداً لا يعد تحاملاً منه على ابي الطيب ولكن دفاع المتنبي عن شعره بردّ شعر ابي تمام الى ما يشبهه من شعر سابقيه تحامل مردود من الحاتمي ، فيدعي ان أبا الطيب قال « ومن ابو تمام ؟ قلت : الذي سرقت شعره فانشدته . قال : هذا خلائق السفهاء لا خلائق العلماء . قلت : أجل ، أنت سفّهت رأيي ولم يكن سفيهاً ، ألست القائل :

ذي المعالي فليعلون من تعالى

هكذا هكذا وإلا فلا

شرفٌ ينطح الثريا بروقيـ

ـه وذخر يقلقل الأجبالا[٢٣]

قال : بلى . قلت فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطّاح :

يتلقى الندى بوجهٍ حيِيٍّ

وصدور القنا بوجهٍ وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي

طرق الجدّ غيرُ طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فافسدته من قول أبي تمام :

همّة تنطح الثريا وجدٌّ

ألفُ للحضيض فهو حضيض

قال : وباي شيء أفسدته ؟ قلت بان جعلت للشرف قرنا .

قال : وأني لك بذلك ؟

قلت : ألم تقل : ينطح السماء بروقيه ؟ والروقان : القرنان ؟

قال أجَلْ ، إنما هي استعارة ، قلت : نعم هي استعارة خبيثة .

قال : أسمعت غير مُحرج في تسمي إنني لم أقرأ شعراً قطّ لابي تمامكم هذا . فقلت : هذه سوءة لو سترتها كان أولى .

قال : السوءة قراءة شعر مثله[٢٤] ، وكأنني بالجرجاني يرد على الحاتمي بقوله :

وكيف اسقطته عن طبقات الفحول وأخرجته من ديوان المحسنين لهذه الابيات التي انكرتها ، ولم تسلم به قصب السبق ونصال النضال[٢٥] وفي رأيي المتواضع اننا اذا احتكمنا حلو

www.dorat-ghawas.com

الحاتمي في عدّ كل تشابه يسير سرقة فلن يتبقى لدينا معنى مخترع أصلاً لسبق الاولين الزمني ولان اللغة هي هي ، وما دمنا لم نغير ألفاظ هذه اللغة فلابد من تشابه ما في المعاني والالفاظ ، وننهل من المنبع نفسه ، وفي نهاية المجلس « وهي نهاية الرسالة كلها » يعد الحاتمي بتأليف رسالة جديدة جامعة لمحاسن شعر المتنبي بعد ان يزعم أنه قد أجبر المتنبي على ترك بغداد في نهاية هذه الرسالة .

ولابد من الاشارة الى ان الرسالة تدل دلالة واضحة على تمكن الحاتمي من شعر العرب ومعانيه ــ وحفظ شوارد ابياته ، واستظهاره للمعاني المبتكرة والالفاظ المستحسنة والمستهجنة ، وإحاطته بعلوم اللغة والادب ومصطلحات النقد والبلاغة ، وذلك شأن غير قليل كما نعلم .

ثانياً : الرسالة الحاتمية

وهي الرسالة التي اشرنا اليها والتي قارن الحاتمي فيها بين معاني ابي الطيب الفلسفية والحكمية وأعاد ما توافق منها مع معاني ارسطو طاليس الى الاخير . ويشكك الدكتور احسان عباس[٢٦] في صحة نسبة الرسالة الى الحاتمي لسببين ، الاول لعدم ثبوت صلة الحاتمي بالثقافة الفلسفية ، والثاني ما يظنه انصافاً فيها لابي الطيب ، ويستدرك بان للحاتمي صلة بابي حيان التوحيدي وبعض المتفلسفين الذين ضمهم مجلس الوزير ابن سعدان ، ونضيف ان المعاني التي اوردها الحاتمي قليلة الغوص في المتن الفلسفي ويعرفها عوام المثقفين آنذاك .

اما عن روح الانصاف فلا أراها ماثلة في الرسالة على الرغم مما قاله في مقدمة الرسالة « والذي بعثني على تصنيف هذه الالفاظ المنطقية والاراء الفلسفية التي أخذها ابو الطيب أحمد ابن الحسين المتنبي منافرة خصومي فيه ، لما رأيت من نفور عقولهم عنه وتصغيرهم لقدره .... وجدنا أبا الطيب قد أتى في شعره باغراض فلسفية ومعان منطقية ، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق في درس العلوم ، وان يك ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ الغريبة ، وهو في الحالتين على غاية من الفضل وسبيل نهاية من النبل ، وقد أوردت من ذلك ما يستدل على فضله في نفسه ، وفضل علمه وأدبه وأغراقه في طلب الحكمة »[٢٧] اين هذا من تعليقاته في الرسالة التي نشرها العميدي في كتابه الابانة عن سرقات المتنبي قوله « أهكذا تمدح الملوك »[٢٨] و « أهكذا يتشبب بالمحبوب »[٢٩] و « أما كان ذلك من افانين الهجاء مندوحة عن هذا الكلام الرذل »[٣٠] فيرد عليه المتنبي « أما يلهيك إحساني في هذه عن إساءتي في تلك ؟ قال : ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته ، إنما أنت سارق مُتَّبع ، وآخذ مقتصر ، وفيما تقدّم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك »[٣١] وفي نهاية الرسالة يوجه الحاتمي خطابه الى الجماعة الحضارة في المجلس « فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته ، وحبس بُنيات صوره ، وعقل عن الإصابة لسانه ..... فما زاد على ان قال : قد أكثرت من ابي تمام ، لا قدس الله أبا تمام ونويه . قلت : ولا قدّس السارق منه والواقع فيه »[٣٢] ، وعلى الرغم من التسويغ الذي يقدمه الدكتور احسان عباس فان وضع الرسالة اساساً على فكرة نظم النثر الفلسفي تسيء الى فكرة ابتداع النصوص لدى المبدعين ، فهي تحوله الى ناظم لفكرة فلسفية قديمة فضلاً عن التكلف الواضح في مطابقة المعاني أو بعضها على الاقل بين نثر ارسطو ونظم المتنبي .

واذا كان الحاتمي قد اعاد في هذه الرسالة مائة معنى من معاني أبي الطيب الى ارسطو فانه بذلك قد أكمل مشروعه ، وتجلى على اغلب معاني أبي الطيب من خلال النظر شمولياً الى الرسالتين معاً ، ولا يمكن لي بأي حال من الاحوال ان ارى فيهما أي انصاف لان اي باحث منصف لا يمكن ان يغفل مناحي الابداع الواضحة التي اكتنفت النص الشعري لابي الطيب المتنبي ، ولقد صدق العميدي حين قال « ولقد جرى يوماً حديث المتنبي في بعض مجالس أحد الرؤساء فقال أحد حاملي عرشه : سبحان من ختم بهذا الفاضل الفحول من الشعراء وأكرمه ، وجمع له من المحاسن ما يثيره في كل من تقدمه ، ولو انصف لَعُلق شعره كالسبع المعلقات من الكعبة ، ولقدم على جميع شعراء الجاهلية في الرتبة ، ولكن حرفة الادب لحقته ، وقلة الانصاف محت اسمه من جرائد المتقدمين ومحقته »[٣٣] وأقول :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المـرء نبلاً أن تعـد معـايبـه

إن اي قارىء للرسالتين معاً لا يمكن إلا أن يدرك أمرين :

الاول : إنّ الحاتمي على الرغم من تجنيه على ابي الطيب فهو من أكثر العارفين بمدى عبقريته ، فحتى النصوص التي احالها الى سابقيه لو قارنت بين النصين فيها لادركت مقدار تمكن ابي الطيب من صنعته الشعرية ، فتراه يجمع معاني عدة في بيت واحد باقصى ما يمكن تصوره من حسن اللفظ وتناسقه مع المعنى وجمالية نطقه وموسيقاه ، لكن الحاتمي يتعمد الاشارة

www.dorat-ghawas.com

السلبية من الموضوع فحسب .

الثاني : إن الحاتمي كان متمكناً من نواصي المعرفة في عصره فانه كان يعيد المعنى متسلسلاً مع عدد من الشعراء عوداً من زمنه حتى العصر الجاهلي ، مع الاشارة الى خاصية كل شاعر ، وربما كل معنى ، مع الإفاضة في ذكر مواطن الإبداع وهنات الصنعة ، ومصطلحات المعارف لغة ونحواً ونقداً وبلاغة .

واخيراً فإن محاولة اجمال موقف المتنبي من الحاتمي وما نفهمه من حديث الحاتمي أنّ أبا الطيب قد صغر خده للحاتمي إجتماعياً لذلك ردّ عليه هو بان صعر خده للمتنبي أدبياً ، ويظل الحاتمي محاصراً بجذف المتنبي عنه في أصفى سويعات صفائه فلا يذكر حسنه لابي الطيب (الا وصادرها بعد سطر واحد (وخصوصاً في الموضحة) .

وتظل أهمية موقف الحاتمي في إقترابه من التطبيقات النصية والنقد التحليلي من خلال المقارنة والمقايسة بين أبيات أبي الطيب وأبيات سابقيه ، ومن خلال الاستطرادات والشروط والتعليقات التي يضيفها على الرسالتين ، كما أنه قدم صورة معرفية عن ذلك العصر من خلال الاشارة الى المعاني الفلسفية التي كانت سائدة آنذاك . ويبقى ان نذكر أن موقف الحاتمي كان جزءاً اساسياً من المعركة النقدية حول المتنبي ، والتي تعد قوام الجهد النقدي العربي في القرن الرابع الهجري .

■ الهوامش والمصادر ■

(١) يذكر ترجمة المتنبي في يتيمة الدهر للثعالبي (الفصل الخاص بالمتنبي) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٦ م . ج ١ .

(٢) يذكر ارشاد الاريب ، ياقوت الحموي ، طبعة دار المامون ، القاهرة ١٩٣٦ م ج ١٨ ص ١٥٦ ــ ١٥٧ ، واشار الى ذلك محمد يوسف نجم في مقدمة تحقيق الرسالة الموضحة .

(٣) تراجع ترجمة الحاتمي في يتيمة الدهر ، ج ٤ ص ٢٧٣ ــ ٢٧٦ .

(٤) الرسالة الموضحة ، للحاتمي ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ١٩٥ .

(٦) المصدر السابق ص ١٩٦ .

(٧) نفسه ص ١٩٦ .

(٨) نفسه ص ٢ .

(٩) طبعت هذه الرسالة عام ١٩٦٥ ببيروت ، وصدرت عن داري صادر وبيروت ، بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، بمقدمة مختصرة ، وجداول متكاملة في الاعلام والموضوعات والابيات .

(١٠) ترد هذه الرسالة باسم الحاتمية في كثير من المصادر القديمة منها ، ابن خلكان في الوفيات ، والعميدي في الإبانة عن سرقات المتنبي .

(١١) ديوان ابي الطيب المتنبي ، بشرح ابي البقاء العكبري ، المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، دار المعرفة ، بيروت ــ لبنان ، ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٨ م ج ١ ٢٩٠ ــ ٢٩١ .

(١٢) نفسه ، ج ١ ٢٧١ .

(١٣) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٨ .

(١٤) الرسالة الموضحة ص ٢٥ .

(١٥) المصدر نفسه ص ٢٨ .

(١٦) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(١٨) المصدر نفسه ص ١٣٠ .

(١٩) ورد البيت هكذا في اصل الرسالة ، ص ١٥٧ ، ويروى الشطر الثاني ، والصيف والرمح والقرطاس والقلم .

(٢٠) المصدر نفسه ، ١٥٧ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .

(٢٣) ديوان المتنبي ، ج ٣ ١٩١ ، مع اختلاف في روي البيت الثاني .

(٢٤) الرسالة الحاتمية المنشورة ضمن الابانة عن سرقات المتنبي ، لابي سعيد العميدي ، تحقيق ابراهيم الدسوقي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م ، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ .

(٢٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار القلم ــ بيروت ــ لبنان ، ١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م ، ص ١٠١ .

(٢٦) تاريخ النقد الادبي عند العرب ، احسان عباس ، طبعة دار الشروق ، عمان ، ص ٢٤٢ .

(٢٧) الرسالة الحاتمية ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

(٢٨) ص ٢٧٦ .

(٢٩) ص ٢٧٦ .

(٣٠) ص ٢٧٧ .

(٣١) ص ٢٨٠ .

(٣٢) ص ٢٨٨ .

(٣٣) الإبانة عن سرقات المتنبي ، ص ٢٠ ــ ٢١ .

www.dorat-ghawas.com